الاتفاق النووي الإيراني ومستقبل المنطقة

■ حميدي العبدالله

لا يستطيع أيّ محلل أو مراقب إنكار حقيقة أنّ الصراعات الدموية التي شهدتها المنطقة، بدءاً بالحرب العراقية– الإيرانية، مروراً بحرب «عاصفة الصحراء» بعد احتلال العراق للكويت، وانتهاءً بالصراعات الدائرة الآن في سورية والعراق واليمن، هي بشكل أو بآخر صدى للمواجهة التي احتدمت بين الغرب وإيران منذ انتصار الثورة الإيرانية عام 1979.

ولا يستطيع أيّ محلل أو مراقب إنكار مدى تأثر المنطقة بعد التوصل إلى اتفاق بين إيران والغرب، اتفاق ينهي المواجهة والقطيعة ويعيد العلاقات بين الجانبين إلى مستوى علاقات طبيعية بين دول قد تتقاطع مصالحها في قضايا، وتختلف في قضايا أخرى.

ولكن ذلك يظلّ في إطار العموميات، إذ ثمة آراء متباينة بشأن انعكاس التوصل إلى اتفاق مع إيران أنهى المواجهة ونقل العلاقات بينها وبين الغرب إلى مسار جديد.

البعض يتوقع أن يؤدّي الاتفاق وبصورة آلية إلى تعاون إيراني غربي لحلّ مشكلات المنطقة الملتهبة، ويتوقع حصول تسويات للأزمات القائمة في اليمن وسورية والعراق ولبنان.

لكن ثمة من يتوقع أنّ الاتفاق لا ينهي تعارض المصالح في البلدان التي تشهد مواجهات، وبالتالي سيتفرّغ الطرفان لتعزيز مواقعهما في ساحات المواجهة، وما بعد الاتفاق لا يعني بالضرورة التوصل إلى تسويات، بل ربما تصعيد في المواجهة يفوق ما كان يحدث في السابق.

لا شك أنّ أوضاع المنطقة سوف تتأثر بعمق بإنهاء المواجهة بين إيران والغرب، وذلك لسببين أساسيين:

- السبب الأول، أنّ المواجهة في الساحات المتفجّرة كانت جزءاً من المواجهة بين إيران والغرب، وبديهي أن ينعكس وقف المواجهة بين الطرفين على هذه الساحات بقدر ما كانت تشكل هذه الساحات وسائل ضغط يعتمدها الطرفان في مواجهة بعضهما البعض.

- السبب الثاني، أنّ الحوار واللقاءات المشتركة، والمصالح المتكوّنة، سوف تحدّ من حالات العداء التي كانت قائمة، وبالتالي سيكون لذلك تأثير إيجابي يتجلى بشكل من أشكال التعاون لإيجاد تسويات تراعي مصالح جميع الأطراف.

لكن ذلك لا يعني أنه سيكون من السهولة بمكان إنهاء كل النزاعات والوصول إلى تسويات لهذه النزاعات، لأنّ ثمة عناصر محلية وازنة لها دور كبير في الأزمات القائمة، وبالتالي الاتفاق لا يجد آلياً حلاً لها، بل إنّ تعاون الأطراف الإقليمية والدولية، لإقناع هذه الأطراف بالبحث عن حلول وتسويات هو الذي قد يساعد على الحدّ، أولاً من تصاعد الصراعات، وثانياً إقناع الأطراف بتقديم تنازلات متبادلة للتوصل إلى حلول. بمعنى آخر لا يمكن الاستنتاج أنّ قضايا وصراعات المنطقة ستجد حلولها بشكل سهل لمجرّد انتهاء المواجهة والقطيعة بين إيران والغرب، ولكن إنهاء هذه القطيعة يسهّل الوصول إلى حلول.

واشنطن وجمع المتناقضات من بوابة الحرب على «داعش»

■ سعدالله الخليل

فيما أنهى المخرج الأميركي فيلمه الطويل حول الملف النووي الإيراني بعد استنفاد كلّ عناصر الجذب والتشويق، وليخرج أبطال الحرب على إيران مهللين للاتفاق تارة ورافعين شارة النصر تارة أخرى، ولعلّ الابتسامات أمام عدسات الصحافة والخطب الرنانة في المؤتمرات الصحافية والتي لم تستطع إخفاء تبعات الحرب التي شنّت على طهران ومحور المقاومة بدءاً من محاولة ضرب البنية الاقتصادية الإيرانية عبر العقوبات، إلى إشعال المنطقة حولها في مسعى لجرّها إلى التورّط في الملفات الإقليمية، حرب ما تزال تديرها بعد الاتفاق وإنْ عدّلت بعض استراتيجياتها وفق مقتضيات المرحلة.

وبما أنّ ما يجري في سورية والعراق والمنطقة ليس ببعيد عن الملف الإيراني، ومع انكشاف الدور الوظيفي للتنظيمات الإرهابية في المنطقة، وعلى رأسها النسخة المحدثة من تنظيم «القاعدة» والمسمّاة «داعش» بدعم مشروع واشنطن في المنطقة، كان لا بدّ من إضفاء بعض الأكشن على فيلم مكافحة الإرهاب عبر دور موسّع لحلف «الناتو» في المعركة المصيرية.

بعد فشل من وصفتهم واشنطن بالحلفاء الموثوقين من المعارضة السورية المعتدلة في مواجهة التنظيم الأسطوري بحسب ما تصوّره الميديا الأميركية، ومرور الأشهر من دون أن تتمكن من جمع أكثر من ستين مقاتلاً معتدلاً وفق المقياس الأميركي، وبعد سقوط ورقة التوت عن عورة التحالف الجوي الأميركي لضرب التنظيم، كان لا بدّ للذاكرة الأميركية أن تتفتّق عن بدعة جديدة لمواجهة استعراضية لتنظيم ينال كلّ الدعم الأميركي عبر توسيع التحالف ليشمل كلّ بلدان حلف الشمال الأطلسي «الناتو»، والذي ستُعِدّ لإجرائه أكبر مناورات عسكرية منذ 13 عاماً للتدرّب على التصدّي لتهديد تنظيم «داعش» 36 ألف عسكري سيحشدهم الحلف بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط من أكثر من 30 بلداً، من بينها دول غير أعضاء في الحلف مثل السويد والنمسا في مناورات في إيطاليا وإسبانيا والبرتغال والبحر المتوسط.

بين الثالث من تشرين الأول المقبل والسادس منه سيشهد الجمهور تصوير آخر الأفلام الهوليودية بتقنيات وتشويق لا يقلان عما يصوّره التنظيم في بث الرعب في نفوس الجماهير، إلا أنّ مفاجأة المناورات الطلب من روسيا مراقبتها.

حلف تأسّس بالتزامن مع بدء الحرب الباردة على قاعدة مواجهة موسكو من بوابة حماية حرية وأمن أعضائه من خلال الوسائل السياسية والعسكرية يستعين بعد يومين من توقيع الاتفاق النووي الإيراني بعدوّه اللدود الذي نشر صواريخه الباليستية في أرجاء أوروبا بناء على فكرة المواجهة مع روسيا، كلّ ذلك كرمى لعيون المواجهة مع تنظيم «داعش»! أم لتقديم ضمانات بات ملزماً بتقديمها بحكم التطورات السياسية العالمية والتي بدأت مع توقيع الاتفاق النووي وستمتدّ إلى ما هو أعمّ وأشمل، بدءاً من خاصرة موسكو التي ظنتها واشنطن بالرخوة أوكرانيا، إلى الظهير السعودي الهشّ في اليمن السعيد، مروراً بسورية والعراق وتركيا، ومن هنا تأتي تصريحات الرئيس الأميركي باراك أوباما بأنه لن يستطيع حلّ الازمة السورية من دون مساعدة روسيا وإيران وتركيا والدول الخليجية بعد خمس سنوات من الرفض التامّ لأيّ دور إيراني في حلّ الأزمة السورية.

كرة الثلج الأميركية ضدّ «داعش» تتعاظم وإيقاع المشهد يتسارع، وهذا لا يعني قرب ساعة النصر بل أنّ ساعة التخلص من التنظيم قد أزفّت من بوابة الحرب على الإرهاب كنتيجة لتفاهمات دولية كبرى فرضتها الإرادتان الروسية والإيرانية كانعكاس لتطورات ما يجري على الأرض والميدان الحقيقي لصنع كلّ معجزات الأرض.

كم تبدو عظمة تنظيم «داعش» كما تصوّره واشنطن! وكم يبدو قادراً على حمل موبقات السياسة الغربية وأول أكباش محرقة التفاهمات! وكم أنت عظيم يا صانع المعجزات الحقيقية على الأرض السورية مفتاح النصر الحقيقي الجيش العربي السوري.

«توب نيوز»

الذعر «الإسرائيلي» مشروع

– يقول نتنياهو إنّ الغرب تعامل مع ملف إيران النووي انطلاقاً من معايير أمنه وليس على أساس استراتيجية بناء بيئة آمنة.

– تعتبر «إسرائيل» أنّ البيئة الآمنة في الشرق الأوسط لا تتحقق عندما تزداد إيران قوة، وهي تتمسك بدعم سورية وحزب الله والحوثيين، وتعلن السعي إلى تدمير «إسرائيل».

– تعتبر «إسرائيل» أنّ الشرق الأوسط لا يكون بيئة آمنة عندما تضعف «إسرائيل» والسعودية وتركيا أمام إيران ولو بدون امتلاك قنبلة نووية.

– تعتبر «إسرائيل» أنّ إيران التي ستحصل على ملياراتها المجمّدة وتعود إلى الأسواق العالمية بصورة طبيعية وتنفتح عليها الاستثمارات الغربية كسوق واعدة هي إيران التي ستستخدم كلّ هذه الانفراجات لتصير أقدر على ترجمة هدفها بإزالة «إسرائيل».

– تعتبر «إسرائيل» أنّ الغرب الذي ارتضى التفاهم الذي يمنح إيران هذه الميزات لمجرّد قبولها بالضمانات التي تحول بينها وبين القنبلة النووية، قرّر المفاضلة والمقايضة بين أمنه وبين بيئة آمنة فيها «إسرائيل» قوية وحلفاء أقوياء.

– تعتبر «إسرائيل» أنّ الغرب بتوقيع التفاهم يعرف ولكنه يتجاهل أنه ارتضى ضمناً المخاطرة ببقاء «إسرائيل».

– استراتيجياً اشترى الغرب مصالحه بالمخاطرة بوجود «إسرائيل».

التعليق السياسي

من الذي قصم ظهر الهلال الشيعي وأطلق الهلال النووي؟

■ نارام سرجون

ربما يفتنني فضاء الوجود ويدوّخني اتساع الكون، وربما يؤرقني سرير الزمن الطويل ويبهرني مسار الضوء، لكن انشغالي بالبحث عن جذر الوجود يجعلني دوماً أبحث عن جذر الزمن، وجذر الكون، وجذر الضوء، وجذور الأنهار، وجذور البحار، وعن الله جذر الجذور.

ولذلك ربما صرت لا أرى متعة في رصد قامات الكلام وقطف اللغة عن باسقات البيان، بل المهارة كلها والمتعة عندي تكمن في تتبع جذور كلّ شيء، جذور الكلام وجذور اللغة وجذور الذاكرة وجذور العمر، فكم أخذتني عروق الذاكرة وشروشها الى أن وصلت بي الى لحظات الماضي السحيق حيث جذر الذاكرة مدفون في الأعماق، وحيث تسير أنهار الأسرار.

ومن يتعاطى السياسة ويريد فهمها عليه أن يمتلك هذه النزعة في تتبّع جذور الأحداث وجذور الكلام، ليصل الى أعماق الذاكرة وخزانات المشاهد وانهار الأسرار، ولذلك سأمرّ بكم اليوم في الأعماق لننسى السطح ولنسير معاً ونتتبّع الجذور، وجذور الجذور، وجذور جذور مفاهيم وتصريحات «الثورة السورية»، حتى نصل الى آخر جذر لكلمات الثورة، وبعده لا نرى سوى الصخور.

تعالوا الى الأيام والأسابيع الأولى لما سُمّي بـ«الثورة السورية»، ولعلكم تذكرون أول بياناتها المعبّأة ضدّ ما سمّته «المشروع الصفوي» أو «الهلال الشيعي» الذي تشكل سورية ركيزته، حيث كان أستاذ السوربون المراهق السياسي برهان غليون قد لخص مشروع «الثورة السورية» وأول بياناتها في تصريح شهير بأنه «التخلص من النظام الحالي ومن الوجود الإيراني في سورية»، لأنّ قراره – كرئيس سوري قادم – سيكون في اليوم التالي لسقوط النظام هو «قطع علاقات سورية بروسيا وإيران وحزب الله»، ولكن أتبعه رياض الشقفة بتعهّد قاطع وحاسم بأنّ غاية الثورة السورية هي «قصم ظهر الهلال الشيعي وظهر إيران وحزب الله وطردهما من سورية»، وتحوّلت ما سُمّيت «الثورة» بسرعة من ثورة للحرية ومبادئ حقوق الإنسان وضدّ حكم الحزب الواحد والعائلة الى ثورة دينية إسلامية طائفية النكهة تريد تنقية بلاد الشام من الوجود الفارسي والصفوي، ولم يكن هناك أيّ ذكر لـ«إسرائيل» أو الجولان إلا بأنّ الخلاف مع «إسرائيل» سيخضع للمفاوضات بعد إنقاص عديد الجيش السوري بشكل كبير، الى أن تبرّع الثوار علناً بالجولان لـ«إسرائيل» ووكلوا اللبواني بعملية المقايضة والتبرع.

في قلب الثورة كانت الأنفاس الطائفية زنخة وقاتلة لأنّ عملية التحريض لشق الناس لم تجد أقوى من استعمال الغريزة الطائفية كعامل تجنيد فعّال مع الثورة الدينية، مشاعر وغرائز كانت تربّيها «الجزيرة» وبرامجها «الإخوانية» وتحوّل الناس إلى كلاب بافلوف، بحيث انّ مجرد ذكر الطوائف كان يزيد من سعار الجماهير التي عضّتها أنياب «الجزيرة» وأصابتها بداء الكلب.

لكن اللعبة كانت شديدة الوضوح في جذورها، وهي أنّ الولايات المتحدة عرضت صفقة على الثوار السوريين وهي أن تساند ثورتهم وتوصلهم الى الحكم في مقابل نقل سورية الى الضفة الناتوية وبالقرب من «إسرائيل» لتكون سورية رأس الحربة في الموجة الإسلامية الموجهة نحو إيران وأوراسيا حيث روسيا والصين، ولذلك كانت تصريحات المعارضين على مختلف مشاربهم تشبه صكوكاً وتعهّدات متوالية بأن يتمّ تغيير العدو في سورية من «إسرائيل» والغرب الى إيران والشرق عبر عملية تصنيع وعي سوري جديد قوامه السعار الطائفي الموجه ضدّ إيران والشيعة كدليل قاطع مقدم للغرب على ان الثورة يمكن الثقة بها ثقة عمياء والاعتماد عليها بسبب عدوانيتها المنفطعة النظير لإيران ومحورها، ولم ينظر المعارضون الى هذه التصريحات بحذر أو بنوع من التأني وتطعيمها بالديبلوماسية لأنهم كانوا مقتنعين جداً أنّ الغرب سيساندهم أكثر، كلما غالوا في التصريحات ضدّ إيران وحزب الله والشيعة وكلما أبدوا القطيعة الكاملة معهم، ووضعوا كلّ البيض في سلة الغرب الذي تشبه وعوده وعد الله.

كنت في تلك الفترة أبدي دهشتي من هذه التصريحات العنترية التي كانت طوباوية جداً لأنها يمكن أن تصدر عن قائد ثورة شعبية عارمة موحدة وليس عن ثورة مقطعة حصصاً بين عدة دول يمثلها الائتلاف أو مجلس الحكم، مثل هذه التصريحات تقولها ثورة لا تعتمد على أحد كما كان الخميني يقول دون تردّد وهو يُسأل من قبل الصحافيين عن ميول الثورة إبان اشتعالها في إيران بأنه «لا يبالي بدعم الشرق أو الغرب لأنه لا يريد أن تكون ميول الثورة الإيرانية شرقية أو غربية بل إيرانية»، أما المعارضون السوريون فكانوا يبيعون ثورتهم في الغرب، حصرا.

علاوة على ذلك فإنّ هذه التصريحات المتهوّرة كانت تنمّ عن قلة خبرة في السياسة لا تصدّق، وطيش في التصريحات والتعهّدات الانتحارية، والتي تشير الى تمكن الغرب و«إسرائيل» من استدراج المعارضين الى الفخاخ الديبلوماسية التي عكست قلة دراية جميع المعارضين بالمناورات السياسية والدهاء في العلاقات العامة والمكائد، لأنّ من شأن هذه التصريحات القاطعة أن تسبّب لإيران بالغ القلق وتجعلها مستميتة في الدفاع عن النظام الحالي ومتمسكة به لأنّ خسارتها له ستعني ليس فقط خروجها من سورية بل خروج سورية الجديدة لمطاردتها في المنطقة وتحوّلها الى نقطة ارتكاز في حرب جديدة على إيران، وكانت هذه التصريحات تقدّم خدمة جليلة للأميركيين، فهي كانت ترسل الى إيران بشكل غير مباشر حيث يبيع الأميركون التصريحات المراهقة على طاولة المفاوضات للضغط على إيران لابتزازها لتقديم تنازلات جوهرية في ملفات كثيرة منها الملف النووي،

أيّ كان الأميركون يطلبون من المعارضين في لقاءاتهم بهم إثبات حسن النوايا بإطلاق تعهّدات نارية وتهديدات ضدّ إيران كي يقدّم الاميركيون الدعم اللازم ويوافقوا على مشروع تغيير النظام وينخرطوا به، لكنهم في الحقيقة كانوا يستعملون هذه التصريحات سراً في الرسائل التفاوضية مع إيران للتهويل على إيران، ولو كانت المعارضة ناضجة وواعية ووطنية لما باعت مواقف مجانية، ولنظرت بعين الناقد الى خطورة التصريحات وأذاها على الثورة، فإيران وجدت فيهم عدواً مباشراً قادماً الى حدودها، ووجدت فيهم عدواً طيّعاً بيد الأميركيين ينفذ ولا يعترض مثل ايّ جندي برتبة صغيرة أمام فيلد مارشال، ولو كانت هناك بصيرة عند معارض أو ثائر أو قيادة واعية لأصرّت على تجنّب حدة وصراحة التهديد في هذه التصريحات والصكوك، وادّعت أنها ستترك ذلك للشعب السوري ليقرّر ما في صالحه، وأنّ الثوار «وانْ كانوا عاتبين مثلاً على إيران لموقفها من الثورة فإنّ الشعب يريد فتح صفحة جديدة مع إيران لا يريد لها أن تبقى بنفس الدور في سورية، ولكن دون المساس بمصالح إيران التي لا تتضارب مع مصالح الشعب السوري، وانّ العلاقات مع إيران يقرّرها مجمل الشعب بعد الثورة بعيداً عن التحامل والكراهية والذاكرة الجريحة».

الاندفاع في إثبات تصميم المعارضين والثوار على إظهار الولاء للتوجهات الأميركية و«الاسرائيلية» منح الأميركيين لجاماً للثوار الذين أحرقوا كلّ سفنهم ولم يعودوا قادرين على العودة وركوب مراكب أخرى، ولم يعودوا قادرين حتى على ابتزاز الأميركيين بالتهديد بالميل نحو روسيا لأنّ الروس وجدوهم مجرّد معارضة تعمل على البطارية الأميركية لدرجة أنّ المعارضين تعهّدوا بتسليم كلّ مصالح بلادهم الى الأميركيين لتنسجم مع مطالب اميركية و«إسرائيلية» خالصة دون مناقشة أو حذر لأنّ قيادة المعارضة تعتبر أنّ هذه الصكوك والتعهّدات مكر سياسي وحنكة ثورية، تماماً كما كان المعارضون السياسيون العراقيون يمارسون نفس الحنكة والمكر بقبول الغزو حتى يسقط النظام وبعدها يضحكون على الأميركيين ويأخذون العراق ملفوفاً بأشرطة حمراء كالهدايا من غير حزب البعث ومن غير صدام، وكان هذا المكر في منتهى السذاجة لأنّ الأميركيين سلّموهم عراقاً بلا بعث وبلا صدام، بالمعنى الحرفي للكلمة «بلا بعث»، فلم «يبعث» العراق منذ ذلك اليوم لأنه تمّ تسليمه للطوائف والمذاهب والدواعش والوهابية، وكلّ أجهزة مخابرات العالم، وخلا العراق من صدام حسين واحد، وحلّ محله عشرة آلاف صدام حسين يقتتلون، الى أن وصل زمن أبي بكر البغدادي.

اليوم يجب إحضار المعارضين السوريين الى حفلة توقيع الاتفاق النووي مع إيران ليكونوا شهوداً على الاتفاق وعلى غبائهم وخيبتهم وليصفقوا وليرقصوا طرباً لأنّ صاحب البطارية يريد ذلك منهم، وهذه الدعوة لهم – وبالعودة الى تصريحاتهم وتعهّداتهم – تعني أنهم كانوا لعبة على طاولة المفاوضات ودمية من دمى الغرب في المناورات ولعبة عضّ الأصابع والابتزاز مع إيران، والأخطر أنّ من أرادوا قصم ظهرها من أجل اميركا قامت أميركا بقصم ظهرهم من أجل الاتفاق مع إيران، وسيضيف المعارضون الى رصيد طيشهم وحماقتهم غباء جديداً إذا صدّقوا أنهم لم يكونوا جزءاً من صفقة النووي (بشكل غير مباشر) التي اهتمّت بها روسيا والصين والغرب، ليس من أجل المصالح الاقتصادية بل ايضاً من أجل المصالح السياسية التي تحملها المصالح الاقتصادية، فالاتفاق يعني انّ أميركا والغرب ليسا معنيّين بعد اليوم بقصم ظهر إيران ومحورها والصدام معهم، وهذا يعني أنّ مرحلة الصراع مع الهلال الشيعي قد انتهت بسبب ظهور الهلال النووي من إيران، بل انّ قوة الاتفاق تعني أنّ أميركا ستقصم ظهر من يريد تهديد الاتفاق لأنه حصيلة جهد ولعب بالدم والخرائط، رغم أنّ الذي ساعدها في لعبة الدم والخرائط هم «الثوار السوريون» بحماقتهم و«المجاهدون الاسلاميون» الذين مكّنوها من الحصول على بعض المكاسب الضرورية ولو الموقتة.

وكما تذكرون فإنني قلت بأنّ الاتفاق الكيماوي مع سورية تضمّن تعهّد اميركياً وغربياً يشبه تعهّد أميركا في أزمة خليج الخنازير التي قطعت عهداً بعدم غزو كوبا انْ تخلت عن الصواريخ السوفياتية وانْ بقيت تحت الحصار، وكان ما تعهّدت به الإدارة الأميركية والغرب للسوريين والروس في الاتفاق الكيماوي هو عدم التورّط في أيّ عمل عسكري مباشر ضدّ الدولة الوطنية السورية مهما كانت الظروف، ولكن الاتفاق النووي الإيراني لا شك سيلد اتفاقات سياسية تعمل في خدمة الوضع الجديد، وصار الحفاظ على الاتفاق اليوم مصلحة أميركية لن تسمح لأحد بالمساس به، ليس لأنّ انفتاح اقتصادات العالم مع اقتصاد إيران سينعشها كلها، بل لأنّ مشروع أميركا المقبل (البديل عن مشروع اقتحام إيران وروسيا من سورية) هو استرداد إيران من الداخل عبر تسرّب اميركا الى المجتمع الإيراني وبناء طبقة من التجار والمصالح والقوى الثقافية والنخبوية بحجة الانفتاح على إيران لبناء قاعدة اجتماعية واقتصادية مرتبطة بالغرب، وهي موجودة أصلاً إنما يجب تقويتها، ولكن الأهمّ من ذلك هو استكمال اضعاف روسيا بمواجهة الغاز الروسي في اوروبا باستحضار الغاز الإيراني الى أسواق اوروبا بحيث تعتمد أوروبا على غاز إيران لا غاز روسيا، وستكون هناك قوى اقتصادية ونخبوية وسياسية في إيران لا تقدر على مقاومة هذا الإغراء والانحياز الطبيعي لمصالحها، فالمشروع الأميركي الآن هو الاستغناء عن تحطيم إيران في المواجهة المباشرة بل بدفعها دفعاً الى تنافس مع روسيا التي ستحسّ أنّ إيران الآن هي التهديد الاقتصادي لها إذا اختارت أوروبا الغاز الإيراني بدل الروسي، وقد يعني ذلك ضرب الحلفاء وتخريب المحور الروسي الإيراني من داخله، وربما ينتهي بأنّ الروس سيجدون قريباً أنّ الافتراق عن إيران حتميّ، وقد يدفع ذلك إيران للاقتراب أكثر من الغرب وربما العودة اليه، وتسقط في سلته من غير حرب، وغنيّ عن القول بأنّ الروس والإيرانيين يدركون ذلك ويضعون آليات مشتركة تحصّنهما من الفخ الغربي.

الاتفاق النووي يعني أنّ إسقاط إيران صار مشروعاً مؤجلاً لسنوات ومتروكاً للقوة الناعمة والتغلغل لأنّ الصدام معها مكلف جداً، وأنّ مشروع إسقاطها من سورية انتهى، وأنّ من قصم ظهره في هذه المعركة هو مشروع «الثورة السورية» التي ومع هذا الاتفاق ستجد أنّ ظهيرها الرئيسي التركي مضطر وفي ظروف الضعف السياسي لحزب العدالة والتنمية لبيع «الثورة السورية» لأنه يريد شيئاً من الكعكة الاقتصادية في إيران، وأنّ الرهان على إسقاط سورية وليّ ذراع إيران بالتحكم بالنافذة الاقتصادية لإيران عبر البنوك التركية لم يعد مجدياً لأنّ إيران التي كانت تركيا تبتزها عبر نافذة بنوكها وقنواتها الاقتصادية قد تخلصت من هذا الابتزاز ولم تعد بحاجة إلى تركيا، وهذا سيعني أنّ التنظيمات الاسلامية ربما انتهى دورها الحالي مع التوصل الى الاتفاق النووي، ولكن لن يتمّ التخلص منها بل ستتمّ إعادة انتشارها وفق منظور أميركي جديد، ولمهمة جديدة وأهداف جديدة لا ندري وجهتها التي قد تكون شمال افريقيا.

لا يبدو أنّ انتظارنا سيطول كثيراً كي نسمع جو بايدن يقول بإصرار وتحدّ بأنه سيقصم ظهر الثورات الإرهابية أو من يهدّد الاتفاق النووي مع إيران، وبرغم أنّ الغرب لن يرمي بعظام الثورة كلها الى الأرض بل سيبقي جسمها السياسي في ثلاجاته لأنه سيمكنه شحن بطارياتها ساعة يشاء كما فعل مع بطارية الحريري و14 آذار التي وضعها في المخازن وأقفل مفاتيحها لفترة وأرسل الشخصيات السياسية اللبنانية ببطاريات غير مشحونة الى دمشق التي استقبلت جنبلاط من غير بطارية، والحريري من غير بطارية، وكلّ رهط «المستقبل» كان مفرغاً من شحناته، ويسير من دون بطاريات معتمداً على قوة الرياح السياسية واتجاهها واتجاه الشراع الأميركي، وعندما حانت الساعة وضع فيلتمان البطاريات المشحونة وبرم الزنبرك وأطلق الدمى اللبنانية التي صارت فجأة تريد إسقاط الأسد وتحرير الشعب السوري وليس اللبناني، ولذلك ربما ستجدون قريباً معارضة سورية من غير بطاريات وتسير بقوة الرياح السياسية، وربما رياحها الذاتية الدفع من مؤخراتها.

لا أريد التنبّؤ بما يحمله المستقبل لأنني لا أعرف ما بين ثنايا الاتفاق النووي، لكن يبدو جلياً أنّ السيناريو السوري سيتغيّر في غير صالح اللحى، ويبدو جلياً أنّ إيران أمسكت بحليفها خوفاً من قصم ظهرها وتمكنت من إيجاد معادلة قصمت ظهر من أراد قصم ظهرها، لكن العودة الى جذور الأشياء تساهم في فهم الأشياء المستعصية، ولا يبدو انّ الأشهر المقبلة تحمل مفاجآت سارة للمعارضين والثورجيين، وانّ زمن حلاقة اللحى يقترب، وأنّ الشباب سيكونون بلا بطاريات.

ربما بعد هذه الرحلة في عوالم السياسة لم يعد يفتنني فضاء الوجود ولا يدوّخني اتساع الكون، وربما لم يعد يؤرقني سرير الزمن الطويل ولا يبهرني مسار الضوء، وربما لن يشغلني البحث عن جذر الوجود، ولن أتابع بحثي الأبدي عن جذر الزمن، وجذر الكون وجذر الضوء وجذور الأنهار وجذور البحار، فيكفيني أنني عرفت أنّ أهمّ جذر للإنسان هو الوطن، وطننا كاد ان يضيع منا وهو يعاني من الخيانات والعمالات والحماقات ومراهقي السياسة.

ويكفيني اليوم إدراكي لهذا الجذر العظيم الذي يمتدّ من روحي وينتهي في قلبي ويتمدّد في فضاء نفسي كالضوء، انه جذر الجذور، ولا جذر بعده.

النووي الإيراني: الفرق بين «فائض القوة وفائض الهَبَل»!

نصار إبراهيم

يبدو الفرق شاسعاً بين استثمار وتوظيف إيران لفائض قوتها لتعزيز دورها وتركيم عناصر القوة والحضور الفاعل دون أن تطلق رصاصة واحدة، وبين استثمار وتوظيف العربان والأنظمة الهشة لفائض هبلها لتبديد ما تملكه من قوة وثروات دون أن يطلق الطرف الآخر طلقة واحدة من رصيده الخاص.

يقول عضو مجلس الشعب السوري خالد العبود: الإيرانيون هزموا العالم... بقنبلة لم يصنعوها!

السيد خالد العبود محق في الوصول إلى هذه النتيجة... ولكن كيف؟ وبأيّ معنى؟ وما الدروس المستفادة من هذا الاشتباك والصراع التفاوضي المرير والطويل الذي دار بين إيران ومجموعة دول 5 +1 على مدار أكثر من إثني عشر عاما... سبقها عقدان من الضغط والحصار على مختلف المستويات... وهل عملية التفاوض التي كانت تدور بين الطرفين هي مجرد سجالات كلامية وقانونية أم هي رأس جبل الجليد الظاهر بينما التفاوض الحقيقي كان يجري في مكان آخر... ويشمل مختلف الميادين التي تتصارع عليها وحولها الأطراف المتفاوضة... أي السياسة والاقتصاد والأمن والثقافة والسيكولوجيا والعلوم والإعلام والجغرافيا والتحالفات... وغير ذلك.

في هذا السياق يمكن تسجيل الأفكار الأساسية التالية:

- السيد الخميني ومن بعده السيد الخامنئي أعلنا وأفتيا مراراً وفي وقت مبكر جداً بحرمة امتلاك السلاح النووي... وأكدا أنّ إيران ليست بحاجة إلى هذا السلاح. بل إنّ إيران كانت تطالب ولا تزال بجعل منطقة الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل تماماً. وفي ذات الوقت جرى التمسك والتأكيد على موقف مبدئي ثابت موازٍ وهو حق الشعوب في امتلاك واستخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية والعلمية كحق طبيعي وعدم البقاء تحت رحمة وشروط القوى الكبرى على هذا الصعيد.

-القوى الغربية وعلى رأسها أميركا و«إسرائيل»... تعرف سياسياً ومعلوماتياً واستخبارياً أنّ إيران لا تسعى فعلياً إلى تصنيع وامتلاك السلاح النووي... هم يعرفون هذه الحقيقة... ولكنهم يواصلون استخدامها كذريعة ومبرّر لفرض أهدافهم العميقة المتمثلة بقطع الطريق على إيران ومنعها من امتلاك التكنولوجيا النووية بكلّ ما تعنيه من قوة وتطوّر علمي وتكنولوجي في كافة المجالات... الفيزياء والكيمياء والطب والفضاء والاقتصاد والهندسة والرياضيات وغير ذلك من علوم... أيّ منعها من التحوّل إلى دولة وقوة صناعية وعلمية عظمى. ومن خلال ذلك ضرب إيران في مفهوم سيادتها وحقوقها السياسية والاقتصادية والتحكم بقرارها ودورها الإقليمي. بمعنى الهيمنة على قرارها وسيادتها، وإبقائها كدولة ومجتمع مستهلكين لا منتجين اقتصادياً وعلمياً وحتى ثقافياً.

- ولكن كيف استطاعت إيران أن تفاوض الغرب على مدار 12 عاماً والصمود أمام العقوبات والتهديدات والضغوط، وفي النهاية النجاح في انتزاع اعتراف العالم بحقوقها النووية ودورها كقوة إقليمية كبرى:

- العامل الأول هو وضوح الهدف الأساسي وعدم إخضاعه للتفاوض مهما كانت الضغوطات والتهديدات... حيث جرى تركيز وتوظيف إيران لكامل قدراتها من أجل حماية الذات القومية والمجتمعية والدولة القومية لتكون قوية مستقلة فاعلة ومتطورة... كان هذا الهدف أو المبدأ ومنذ اللحظات الأولى خارج المساومة بصورة حاسمة... ذلك لأنّ إيران تدرك أنها بدون امتلاك التكنولوجيا ذاتياً فستكون مجرد مستهلك ومستورد لها، وبالتالي ستبقى تابعة وخاضعة لرحمة وإملاءات الدول الأخرى، بما يضرب في العمق مفهوم السيادة القومية.

- التزمت إيران وطيلة سنوات التفاوض بمعادلة ناظمة لم تحد عنها قيد أنملة وهي القبول بالتفاوض والاستعداد له ضمن خطط وسقوف وبدائل وأولويات ترتبط بحقوقها الطبيعية كشعب ودولة ذات سيادة، وفي ذات الوقت تفعيل كامل طاقتها وصبرها الاستراتيجي من أجل تعظيم وتركيم قوتها العلمية والاقتصادية والعسكرية... وبهذا استطاعت (رغم الصعوبات والتحديات الداخلية) أن تبني منظومة إنتاجية متكاملة سواء على صعيد السلع الاستهلاكية أو على صعيد الصناعات الثقيلة على المستويين المدني والعسكري... وبهذا حوّلت العقوبات من قوة كبح وتآكل واستنزاف للقدرات الداخلية والذاتية إلى فرصة لتركيز وتطوير قدراتها الاقتصادية والعلمية.

في هذه السياقات المتداخلة والصعبة قامت إيران بحكمة ودأب وهدوء استراتيجي بتعزيز دورها الإقليمي من خلال تأسيس وتعزيز حزام مقاوم أساسه التقاطع والتشارك الاستراتيجي بينها وبين قوى إقليمية مؤثرة وهو ما بات يعرف بقوس قوى المقاومة ودول الممانعة في المنطقة... ونواته حزب الله وسورية ولاحقاً العراق ثم اليمن... وقد ذهبت في هذا الاتجاه ليس من منطلق انتهازي لا أخلاقي بل من منطلق استراتيجي أساسه تقاطع المصالح والمجابهة المشتركة ضد التهديدات والمخاطر التي تهدّد الجميع، وقد تجلت تلك المخاطر بالطموحات الاستعمارية للهيمنة ونهب ثروات المنطقة، إلى جانب التهديد والمخاطر الاستراتيجية التي يمثلها المشروع الصهيوني على جميع شعوب المنطقة.

أيّ أنه بقدر ما كان الحلف الاستعماري الغربي يحيط ذاته بتحالفات ويعزز وجوده وهيمنته في المنطقة، فقد تحرّك محور المقاومة والممانعة لبناء جبهة ضدّ استراتيجي نقيضة. بهذا المعنى فقد تمكنت إيران ومن يقف معها في ذات الجبهة من تعزيز عوامل الصمود والردّ على ضغوط وتهديدات الحلف الغربي، بتعزيز محيطها بقوى داعمة وفاعلة.

-ربط إيران بمنظومة حلفاء دوليين أقوياء سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، مثل روسيا والصين، كما عملت وبحيوية ونشاط وصبر لتكون جزءاً من مجموعة «بريكس» و«منظمة شنغهاي» التي تستهدف كسر المنظومة الغربية التي تحتكر وتهيمن على النظام المالي العالمي من خلال البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية. وفي ذات الوقت تعزيز علاقاتها مع دول أميركا اللاتينية التي تواجه ذات الضغوط والمحاولات الأميركية للهيمنة على قرارها وثرواتها.

- إدارة التفاوض بمهارة وصبر وذكاء وعناد ومرونة ولكن وفق مبدأ ناظم حاسم ونهائي، وهو المرونة الكاملة في التكتيك ولكن من دون المساس بالمبادئ، أيّ بحقوق إيران السيادية مطلقاً، وهو ما وصفه بعض المفكرين والكتاب بأنه مستمدّ من ثقافة ومهارات نسيج السجاد العجمي بما يتطلبه من تخطيط ودقة في اختيار الألوان وشمولية وصبر مدهش، وفي ذات الوقت الحفاظ على أسرار المهنة بحيث لا تأخذ السجادة شكلها النهائي إلا بعد أن تكتمل.

- الاستفادة القصوى من حالة التنوّع السياسي في إيران حيث التناغم والتكامل بين ما يُسمّى بالتيار المحافظ والتيار الإصلاحي في إيران... ففي الوقت الذي كانت ترى فيه الدول الغربية هذا التنوع حالة ضعف ونافذة لإشعال التناقضات الداخلية في إيران بهدف استنزافها، فقد استثمرت إيران ووظفت هذا التنوع بصورة خلاقة، حين أسّست منظومة سياسية وفكرية حكمت سلوك التيارين الأساسيين بحيث ينطلقان دائماً وأبداً في رؤيتهما ومقارباتهما الاستراتيجية وسلوكهما السياسي والاجتماعي من على قاعدة راسخة وهي أولوية مصالح وأهداف إيران العليا... مع ملاحظة أنّ كلا التيارين (المحافظين والإصلاحيين) وبالرغم من التناقض والتعارض والتباين القائم بينهما في ميادين عديدة، إلا أنهما يتفقان ويتوحدان على هدف تعزيز وحماية مصالح وحقوق إيران ودورها الإقليمي والعالمي، وهو ما بقي خارج التنافس ومهما اشتدّ وتصاعد التناقض بينهما... وهذا يشير إلى نضوج سياسي وثقافي عال جداً، حيث تبقى وتتصرّف المعارضة الوطنية كمكوّن عضوي من مكونات المجتمع والدولة، وليست عبئاً يجب تدميره وسحقه كما يجري في معظم الدول العربية، مما يفقد المجتمع قوة حاسمه من قواه الاجتماعية والسياسية كما يفقده القدرة على المناورة ويدفعه دائماً نحو دوائر التناحر والاستنزاف الداخلي المدمّر الذي يحوّله إلى مجتمع هش ورخو... وبالتالي ينكشف تماماً أمام التدخلات الخارجية.

أما النظام العربي الرسمي، فقد أبدع في استخدام «فائض الهبل العربي والتخلف» لتبديد واستنزاف ثروات الأمة والشعوب العربية وركائز قوتها في عملية تدمير ذاتي شامل والارتهان والتبعية للقوى الاستعمارية. لهذا تصبح إيران قوة عظمى فيما الأمة العربية، التي تمتلك ثروات مادية وبشرية وجغرافية تفوق آلاف المرات ما تملكه إيران، تنحدر نحو الحضيض بحكم السياسات والخيارات العقيمة والجهل والتخلف وضيق الأفق وأنانية الأنظمة السياسية... بل ومعظم المنظومة الرسمية العربية لا تتورّع عن استقدام الجيوش الأجنبية من أجل تدمير أيّ دولة عربية تحاول أن تشق طريقها نحو المستقبل وأكبر مثال على ذلك: تدمير سورية وليبيا وقبلها العراق والآن اليمن ومصر...

هذا هو الفرق بين استخدام إيران لفائض القوة التي تملكها لتعزيز دورها ومكانتها وتعظيم قوتها وبين استخدام «العربان» لفائض «الهبل» من أجل تدمير وتبديد ما يملكون.

أدلجة الإنسان «إسرائيلياً»

■ ناريمان منصور

من البديهي أنه عندما يكون الهدف كبيراً بحجم وطن، لا يترك صاحب الهدف وسيلة إلا ويستخدمها لتحقيق مأربه. أياً كانت الوسيلة، ومهما تعدّدت الطرق. لسنا هنا بمعرض توصيف حقوق لنا في وطننا فهذا من البداهة بشيء لا يختلف عن حقيقة وجودنا في هذا الوطن، وعلى أرضه.

لقد كثرت الأبحاث والطروحات التي تشرح للأجيال المتعاقبة عن حقيقة وجودنا، وآليات التواجد «الإسرائيلي» اليهودي على أرضنا في فلسطين، حتى لكأنّ التنازع أصبح على إثبات من له الأحقيّة في الانتماء إلى هذه الأرض!

وُظفت مختلف الأدوات لكي تصل الأمور إلى ما وصلت إليه، اتفاقيات ومفاوضات وتقسيمات، كلّ هذه الأمور نعرفها ولسنا بواردها. لكن هناك ما هو بحجم هذا الخطر، بل هو متلازم معه، ومتوافق معه ضمن خانة الأدلجة الفكرية والعقلية التي يعمل عليها المغتصب «الإسرائيلي» الذي يفاوضنا على أرضنا. تصل الصفاقة والوقاحة بهم إلى حدّ أن يفاوضوا الناس على ممتلكاتهم.

إذن، نحن أمام عدو يفعل ما في وسعه ليصل إلى هدفه، وهو يعرف كلّ المعرفة أنه حتى يقتل وطناً مسكوناً بأهله، بتاريخهم، بتراثهم، بكينونتهم الفطرية المتأصلة عبر حقب متعاقبة بعيداً في الزمان، عليه أن يقتل كلّ هذا بدءاً من قتله للإنسان في هذا الوطن. لا ينتهي شيء إنْ لم ينته الإنسان، بكلّ ما يمتلكه من مدركات وفعاليات، بكلّ ما يمكن أن يقوم به من واجبات تتفاعل جدلياً وحتى كيميائياً مع حقوق لا يمكن تصغيرها مهما كان مستوى الواجب أو الحق.

تكثر الأدوات لتحقيق فعل القتل هذا، بل وتنجح في الوصول إلى مأربها تدريجياً وببطء، فالأوطان تستحق الصبر! وتستحق كلّ ما يمكن حتى وإنْ كانت أوطاناً مزعومة، إذ كيف يمكن لمن يريد أن يصنع لنفسه وجوداً متلبّساً بمركّب النقص هذا أن يوفر جهداً بدءاً من السرقة وصولاً إلى التدمير فالقتل؟!

يتبادر السؤال بشكل تلقائي... كيف يتمّ هذا؟ من أين يبدأ؟ من يُوظّف له؟ هل هذا خارج عنّا أم متغلغل فينا؟

كأننا نعرف! لكن لماذا لا نواجه كلّ هذا الذي نعرفه إذا كنا على اطّلاع به، بل ونعاني منه!

تبدأ العملية التي ينتهجها العدو بالتغلغل في تفاصيل الحياة، مهما كان مستواها، فهو مضطلع بكلّ مدارس علم النفس والاجتماع والفلسفة، ينتهج منها ما يلائم أهدافه، وما يساعده للوصول إلى مبتغاه. يدمّر ما لغيره لكي يبني ما لديه، إنه لا يستطيع أن يقيم لنفسه قائمة إنْ لم يفعل هذا، لأنّ هذا يخدمه في أن يبدو بمظهر جمالي يخدع من خلاله الآخرين بالترويج لنفسه مستخدماً كافة أشكال الأضاليل، أولها أنه صاحب حق في الوجود استناداً إلى أرضية دينية تفعل فعلها في مكوّنه الوحيد الذي هو يهودي القلب والقالب على أرض اخترع لنفسه تاريخاً عليها!

إنه يتدّخل في حياة الإنسان من حيث لا يعلم، لا بدّ أنه توجد طرائق عديدة جعلت هذا الإنسان لا يعلم... جعلته منساقاً وراء مركّبات تأخذ منحى الظاهرة في المجتمع حتى يصل إلى مستوى تبنّيها كمكوّن من مكوّنات ثقافته التي ينشأ عليها، ويصل به الأمر إلى حدّ أنه يتفاخر بها. يتدخل بتربية الأطفال، والشباب، والراشدين، والمثقفين، والنخب. لنصل إلى نتيجة كارثية: إنه يرسم هوية مجتمع بأكمله ليتسنى له صناعة الكائن الذي يريد، الكائن المدمَّر، المهزوم، اليائس، المعترف به كأمر واقع، بل وطبيعي، إنه يرسم هويّة البطل القومي، يصنعه وفق هواه، هذا البطل الذي نتغنّى بمنجزاته ونتأثر عاطفياً، ووجدانياً، ووطنياً بمعاناته... إنه بطل تعرّض للسجن، والتحقيق، والإيقاف، والتعذيب... إنه ظاهرة تتحوّل إلى نموذج ورمز يشكّل تاريخاً ثقافياً بطولياً لنا، لكن هذا البطل هو صناعة هذا العدو. ولا يبقى هذا ضمن الحيّز الجغرافي الذي يشغله العدو ككيان، بل إنه يتجاوز متخطياً الكثير من الأبعاد تناسباً مع حدود طموحه.